

# لماذا كتبت عجمية الموريسكيين بحروف عربية

الحسين بوزينب

كلية الآداب - الرباط

إننا اليوم نضع تحت عبارة *aljamía* أو *literatura aljamiada* ذلك النتاج الأدبي المكتوب بلغة المدجنين والموريسكيين الرومنسية وبحروف عربية. ولكن يجب أن لا ننسى أن العجمية بالنسبة لهؤلاء كانت تتخطى هذه الفترة القريبة منهم لتمتد إلى تلك الحقب السابقة التي كانت بالطبع أقل إنتاجية منها. إننا سنجد بدون شك أن هذه الفترة (فترة المدجنين والموريسكيين) أفرزت نتاجاً ناضجاً في غاية الأهمية. والسبب في غياب تطور هذه الظاهرة في الحقب التي زرعت فيها البذرات الأولى يرجع إلى عدم توفر الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي سُعرِف زمن المدجنين والموريسكيين. فالتطور الحاصل في الخريطة اللغوية الأندلسية نتيجة التحولات الاجتماعية العامة خلال فترة الاسترجاع المسيحي للأراضي الأندلسية سيكون هو المنطلق للظاهرة الأعجمية في صورتها الناضجة.

لقد سبقني إلى التفكير في هذا الموضوع عدة باحثين تقدموا بتوضيحات وتعليقات مهمة جداً تتعلق خصوصاً بالحالة اللغوية التي كانت عليها الأراضي التي استرجعها النصارى. ف Ma. Jesús Viguera في الدراسة القيمة التي قدمت بها كتاب *Relatos pios y profanos* الذي حققه F. Corriente<sup>(1)</sup> تقول بخصوص ما كان قد عبّر عنه A. Dominguez Ortiz إن نظرية Dominguez Ortiz الصائبة قد تأكّدت، حيث كان قد أشار، منذ سنة 1949 وخصوصاً منذ 1962، إلى

F. Corriente Córdoba, (prólogo de Ma. Jesús Viguera), *Relatos pios y profanos del ms. al- jamiado de Urrea de Jalón*, Zaragoza, Instituto Fernando el Católico, 1990, pp. 17 a 25. (1)

الوضعية اللغوية للموريسكيين في جزيرة الأندلس ووصفها «بعدم التجانس» وذلك لأن المدجنين القشتاليين كانوا - كما يؤكد ومعه الحق في ذلك - قد ضيعوا اللغة العربية تماماً. ففي سنة 1462 اضطر مفتي Segovia إلى كتابة مؤلفه الديني Suma de los principales mandamientos de la ley alcoránica باللغة القشتالية. نفس الوضع عُرف في أراغون. وتقابل الباحثة المذكورة هذه الحالة بتلك المعاكسة التي عرفت في كل من بلنسية وغرناطة، حيث كان للغة العربية بين المدجنين والموريسكيين استعمال عادي في الحياة اليومية وفي شتى الميادين الأخرى. وتفضي الباحثة إلى القول إن استعمال الحروف العربية لكتابة الإسبانية سيتولد داخل إطار حركة المدجنين القشتالية والأراغونية. وتضيف «إننا نجهل الظروف الملموسة التي أدت إلى ظهور هذا الأمر الدال عن تراجع في الاستعمال اليومي للعربية بين مجموعات المدجنين الذين بدأوا في استعمال الأعجمية».

ولنا رأي آخر في الموضوع أدلى به Mikel de Epalza<sup>(2)</sup> يعتبر أن استعمال الخط العربي لكتابة اللغة الرومنسية راجع إلى مجهود ثقافي مهم قام به المسلمون الإسبان كمشروع لخلق حضارة إسلامية إسبانية كتلك التي ظهرت في الشرق، تعبر باللغة الإسلامية التركية أو الإسلامية الفارسية أو كمحاولة الموحدنين الأوائل خلق ثقافة إسلامية بربرية مكتوبة. فكان هذا بالنسبة إليهم بمثابة شكل من أشكال الحفاظ على الولاء لدينهم الإسلامي داخل ثقافة ليست عربية وكبديل للثقافة الإسلامية العربية الأندلسية.

لا يدخل Ottmar Hegyi<sup>(3)</sup> في مناقشة جانب نشأة الظاهرة الأعجمية، ولكن يعلل ظاهرة استعمال الحروف العربية. فاستعمال هذه الحروف من قبل الموريسكيين يرجعه إلى القدسية التي تختص بها الكتابة العربية وكذا إلى موقف تعاطفي معها.

هذه بعض الآراء التي وقفنا عليها بخصوص أسباب نشأة واستعمال الحروف

(2) Mikel de Epalza, «Un manuscrito narrativo normativo árabe y aljamiado : problemas lingüísticos, literarios y teológicos de las traducciones moriscas» en *Les actes de la première table ronde du CIEM...*, Tunis, Publication du Centre de Recherches en Bibliothéconomie et Sciences de l'Information, 1980, pág. 43.

(3) Ottmar Hegyi, «El uso del alfabeto árabe por minorías musulmanas...» en *Actas del Coloquio Internacional sobre literatura aljamiada y morisca*, Madrid, Ed. Gredos, 1978, pág. 162

العربية لكتابة اللغة الرومنسية. وقد تلاحظون أنني أشرت في نفس الوقت إلى الآراء التي أدلي بها حول احتفاظ وضياع اللغة بين الأندلسيين، لأن الأمرين مرتبطان ارتباطاً عضوياً.

إن منهجيتنا في دراسة الموضوع المقترح تتوخى وضع تسلسل، وإن لم يكن كاملاً، للظاهرة الأعجمية. فعلى الأقل سيحاول تقديم طرح ممكن لذلك التسلسل يركز على تنابع للأشياء ويتحاشى كل تعليل بواسطة ظواهر غير عادية.

إن طرحنا يتلخص في اعتبار أعجمية الخامس عشر والسادس عشر مرحلة نضج نهج لغوي انطلق من فترة وصول العربية إلى الأندلس وليست من ابتكار مراحل متأخرة كما يقول بعض الباحثين مثل L.P. Harvey<sup>(4)</sup> الذي اعتبر أن مفتي Segovia عيسى بن جابر (ق. XV) هو الباعث لهذا الأدب الأعجمي، حيث ساندته في هذا باحثون أمثال Mikel de Epalza<sup>(5)</sup> الذي قال: يمكن الإدلاء بالطرح الذي قدمه Harvey والمسائر للمعطيات المتوفرة لدينا والمتمثل في اعتبار مبدع نسق تمثيل النصوص الإسلامية بالرومنسية (الأعجمية) هو عيسى بن جابر، مفتي Segovia.

إن سبباً بسيطاً جعلني أذهب إلى ما سبق. إنه لمن المدهش حقيقة أن نعاين درجة التناسق التي استطاع أن يتوصل إليها نظام تمثيل الرومنسية بالحروف العربية في القرن السادس عشر، وحتى زمن عيسى بن جابر، وكذا انتشار ذلك النسق عبر مساحة شاسعة في ظروف تاريخية لم تكن فيها وسائل التواصل والنشر الحديثة متوفرة بعد حتى يكون من إنتاج ونضج فترة وجيزة. (إن رحلة el Mancebo de Arévalo تلميذ عيسى بن جابر [continuador de la tradición de 'Isa de Yebir] عبر مختلف المناطق الأندلسية – التي يعتمد عليها Harvey – غير كافية في نظري لتثبيت وتعميم هذا التمثيل الأعجمي، هذا إذا قبلنا فكرة اعتبار el Mancebo أحد رواد الأدب الأعجمي الأوائل). إنني لا أريد أن يفهم من لفظة «التعميم» الخضوع التام من قبل كافة الكتاب المؤعجمين (aljamiados) لنسق منتظم ومحدد تحديداً دقيقاً يسايره أوتوماتيكياً الكتاب المذكورون، لأن هذا أمر لا يمكن أن يحدث حتى في زمننا الحاضر

«El mancebo de Arévalo y la literatura aljamiada», *Actas del Coloquio Internacional sobre literatura aljamiada y morisca*, Madrid, Ed. Gredos, 1978, pág. 35. (4)

*El Cántico islámico del morisco hispanotunecino Taybili*, Zaragoza, Instituto Fernando el Católico, 1988, pág. 10. (5)

حيث تتوفر الأوتوماتيكية الحقة وتعميم وسائل الإعلام، بل التوصل إلى نوع من الإجماع على أهم الجوانب الأساسية كتمثيل الصوائت وحروف الصفيير والحروف الشديدة... وسيبقى بالطبع مجال مرن لتدقيق الجوانب غير الأساسية في ذلك التمثيل كإضافة التمييز بين تحقيقي الفونيم الرومنسي [d] وتمييز تحقيق [r] آخر المقطع أو تبيان خاصية التعطش (africación) في [Z] و [Ç] بإضافة التشديد... إلخ.

ومن ناحية أخرى يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الحروف العربية المستعملة في الأعجمية التي سميها بالناضجة، أي تمثيل الصائت e بالفتح + الألف و i بالكسر و e بالجم المشددة و p بالنون المشددة و p بالباء المشددة و e بالسين و s بالشين و l باللام المشددة... إلخ. ليست بالضرورة مقابلات أوتوماتيكية للأصوات الرومنسية كما قد يبدو لأول وهلة، وذلك لأننا إذا حللنا مثلًا الطريقة العفوية لتمثيل الأسماء الإسبانية من قبل العرب في الوقت الراهن، سيفاجئنا من غير شك غياب كل تناسق في الاختيارات التمثيلية عند مختلف الأشخاص الذين التجأوا إلى الحروف العربية لكتابة القشتالية الحالية.

فلنتصور إذا، وللحظة فقط، وصول العرب إلى الجزيرة الإيبيرية في زمن كانت فيه اللغة التي كان يتكلمها سكان هذه الربوع، أي تلك اللاتينية المنحطة أو الرومنسية القريبة منها، لم تكن تتوفر بعد على رموز لتمثيلها أو بعبارة أوضح لم يكن لها آنذاك كتابة، أي أننا بصدد حالة شبيهة بما هو عليه الأمر حاليا بالنسبة للغات العربية العامة التي ما زالت تفتقر إلى نسق خاص بها لتمثيلها. أضف إلى ذلك أنه حتى ولو كان لتلك اللغة الرومنسية أو اللاتينية المنحطة جهاز تمثيلي، فإن العرب والبربر القادمين إلى الأندلس كانوا يجهلون ذلك الجهاز. لذا نجد أنهم إذا احتاجوا في ظرف من الظروف إلى كتابة اسم شخص أو مكان ما أو جملة أو تعبير بلغة المسيطر عليهم، فمما لا شك فيه أنهم سيُبتِنونها بواسطة النسق التمثيلي الذي يعرفونه والمتعودين عليه أي النسق العربي بطبيعة الحال. فمن الطبيعي أن أي مجموعة لغوية تفضل دائما استعمال النسق الخاص بها حتى ولو كانت تعرف نسق الغير، ولنا مثال حي في ذلك ما نراه بين المعربين الأوربيين عامة الذين يفضلون استعمال الحروف اللاتينية لكتابة ودراسة العربية رغم معرفتهم لرموز هذه الأخيرة، أو المثقفين العرب المحدثين الذين يكتبون الأسماء الأجنبية بالحروف العربية رغم معرفتهم لرموز اللغات الأجنبية.

فهكذا إذا اعتبرنا أن عجمية الخامس عشر والسادس عشر تمثل الفترة الناضجة لهذا الأدب، فما هي جذوره وكيف وصل إلى هذا النضج؟

إننا لا نملك أي كتاب يبين لنا الطريق الذي سلكه هذا الأدب الأعجمي حتى أدرك هذه الوضعية التي سميناها بالناضجة. لذا فإن تقصياً كالذي نقرحه يتطلب اقتفاء الآثار الباقية عبر مختلف الكتب العربية لنتمكن من استخراج معطيات توضيحية لهذه الظاهرة، وكأننا بصدد عمل أركيولوجي لإعادة رسم الطريق المذكور وتكوين فكرة متناسقة حول هذا الموضوع. وتحليلنا سيرتكرز بالخصوص على طرق التمثيل مع إيجاد تعليل لها. ولكنني سوف لن أستطيع القيام بتقصي جميع الكتب العربية التي تحتوي على كلمات إسبانية، الأمر الذي قد يكون أساساً لبحث جامعي مطول، بل سأكتفي ببعض الأمثلة من مختلف الفترات لأبين ما أنا بصدد هنا وسأأخذ بعض العينات من هذا التمثيل. فإذا وجدت نصوصاً، فسأحلل النصوص؛ وإلا فسأكتفي بأسماء الأشخاص والأماكن التي نجدها في مختلف الكتب العربية المنتمة إلى فترات التعايش بين شتى العناصر العربية الإسبانية في الجزيرة الإيبيرية. سأبدأ ببعض أقدم ما وصل إلينا، أي بمختلف أسماء الأشخاص والأماكن، والنصوص القصيرة المنتشرة في كتب التاريخ والأزجال والخرجات التي تختم بعض القصائد الأندلسية... إلخ.

## 1) ابن حيان (القرن العاشر)

إن هذا المؤرخ يقدم لنا أسماء أعلام عديدة تبين لنا من خلال كتابتها المطابقة التي كانت لديه بين الأصوات العربية والرومنسية :

### الصوائت :

يقابله في العربية

– الصوت الإسباني

الفتحة، الفتحة + الألف	a
الفتحة، الفتحة + الألف، الكسرة	e
الكسرة، الكسرة + الياء	i
الضمة، الضمة + الواو	o, u

من الملاحظ هنا أن الاستطالة في شتى الحالات : تتطابق مع موضع النبر  
الإسباني :

a : ناجارة Nájera.

e,i عند كتابتها بالكسر : تطيلة Tudela – شتترين Santarén

o,u : قومس Gómez – بنبلونة Pamplona – أشونة Osuna ... الخ

نجد كذلك هاء السكت عند انتهاء الكلمة بصائت : تطيلة Tudela  
– ناجارة Nájera – سلمنكة Salamanca.

الصوامت :

الصوت الإسباني	يقابله في العربية
s	ش
ç,z	س
ç	ج
t	ط،ت
k	ق،ك
l	لي
g	ق

نلاحظ أن الصوت الإسباني [ç] يجد كمقابل له حرف الجيم كما هو الشأن  
عند المدجنين والموريسكيين، أي في التمثيل الناضج ولكن بدون تشديد.

(2) والخرجات التي تعتبر من أقدم النصوص تدوينا للإسبانية، سنخضعها  
كذلك لنفس التحليل. وقد اعتمدنا تلك التي نشرها الأستاذ E. García Gómez في  
مجلة Al-Andalus سنة 1952.

## الصوائت :

الصوت الإسباني	يقابله في العربية
a	فتحة، فتحة + ألف، فتحة + ي
e	كسرة، كسرة + ي، فتحة + ألف
i	كسرة، كسرة + ي
o,u	ضمة، ضمة + واو

## الصوامت :

الصوت الإسباني	يقابله في العربية
s	ش
ç	س
v	ف
k	ك، ق
p	ب
g	ق، غ
ʎ	ل + تشديد
z,dz	ج
t	ت، ط
n̄	ن + ي

نلاحظ كتابة هاء السكت عند انتهاء بعض الكلمات بصائت.

### (3) ابن قزمان

الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني عشر يرصع أجزاله بمجموعة من النصوص القصيرة بالرومنسية تقربنا من الخصوصيات الصوتية لهذه اللغة. وقد اعتمدنا تحقيق الأستاذ F. Corriente<sup>(6)</sup>.

F. Corriente Córdoba, Gramática, métrica y texto del cancionero hispanoárabe de Aban Quzman, Madrid, Instituto Hispanoárabe de Cultura, 1980. (6)

## الصوائت

الصوت الإسباني	يقابله في العربية
i	كسرة، فتحة + ا، كسرة + ي
e	فتحة، كسرة، فتحة + ا، كسرة + ي
o,u	ضمة، ضمة + و

تجدر الإشارة هنا إلى أن عدم الانتظام هي الخاصية السائدة في ابن قزمان فيما يرجع إلى الصوائت. كذلك نجد استعمال هاء السكت، لكن في حالتين فقط.

## الصوائت

الصوت الإسباني	يقابله في العربية
s	ش
ç	ج
t	ت، ط
k	ك، ق (نادرا بهذه الأخيرة)
g	ق

## 4) المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي

هذا اللغوي الذي مات أواخر القرن الثاني عشر الميلادي يجمع بدوره في مؤلفه هذا مجموعة من الكلمات اللاتينية والرومنسية تسمح لنا باستنتاج ما نحن بصدد من المقابلات في التمثيل اللغوي.

## الصوائت

الصوت الإسباني	مقابله في اللغة العربية
a	فتحة، فتحة + ا
e	فتحة، كسرة، كسرة + ي
i	كسرة + ي
o, u	ضمة، ضمة + و



## الصوامت

الصوت الإسباني	مقابله في اللغة العربية
s	س، ص، ص
z	ج
k	ك، ق
g	ق
t	ت، ط

5) كتاب «رايات المبرزين وغايات المميزين» لابن سعيد المغربي وهو من أواسط القرن الثالث عشر الميلادي يحتوي على أسماء أماكن عدّة، سنحللها كذلك من حيث كيفية التمثيل.

## الصوائت

الصوت الإسباني	مقابله في اللغة العربية
e	كسرة، كسرة + ي، فتحة + ا
i	كسرة، كسرة + ي

## الصوامت

الصوت الإسباني	مقابله في اللغة العربية
s	ش
ç	س
t	ت، ط
g	ق
k	ك، ق
l	ل

## الصوائت

الصوت الإسباني	مقابله في اللغة العربية
e	كسرة، كسرة + ي، فتحة + ا
i	كسرة، كسرة + ي، فتحة + ا (حالة واحدة)
o,u	ضمة، ضمة + و

## الصوامت

الصوت الإسباني	مقابله في اللغة العربية
s	ش، س، ص
g	ق، غ
p	ب
k	ك، ق
z	ج
↓	ج

إننا بتقديم هذه الأمثلة يمكن أن نتبين بوضوح الغياب التام لنسق منتظم، حتى داخل كل حالة. وسوف لن نستغرب هذا الأمر إذا فهمنا أن الانتظام الذي حصل في تمثيل القرنين الخامس عشر والسادس عشر ناتج بالأساس عن الاستعمال المكثف للأدب الأعجمي بعد الحاجة الملحة التي أحس بها المدجنون نظراً للتراجع الذي عرفته العربية بينهم في بعض المناطق كما سلف الذكر، وليس لوضع مسبق لنظام تمثيلي. فإذا كنا لا نجد انتظاماً للتمثيل قبل القرن الخامس عشر، فلأن هذا التمثيل لم يكن قد وصل بعد إلى الكثافة اللازمة في الاستعمال حتى ينتظم انتظاماً محكماً. فكثافة الاستعمال إذن هي التي ستولد الانتظام. والدليل على ذلك هو أننا سنجد في الفترة الواحدة مجموعات لم ينتظم بينها النسق التمثيلي لأنها لم تكن تستعمله بالكثافة اللازمة بالمقارنة مع من كان لهم استعمال مكثف.

7) لنفحص الآن نصاً أعجمياً قد يرجع تاريخه إلى بداية القرن الخامس عشر حيث وجد في بلدة Ocaña مع مجموعة من المخطوطات العربية أحدها مؤرخ سنة 1428 (وخطها يشبه خط المخطوط الأعجمي) درسه Juan Martínez Ruiz.

هذا المخطوط الأعجمي يمتد عبر أربع صفحات وهو مشكول ويستعمل كثيراً من الرموز المكرسة في الأدب الأعجمي الناضج، ولكنه ما زال يعاني من بعض التردد كذلك الذي وجدناه في التمثيلات القديمة التي رأيناها سابقاً. وفيما يلي جدول مطابقات الأصوات في هذا النص :

مقابله في العربية

الصوت الإسباني

### الصوائت

كسرة، فتحة + ا	e
كسرة	i
ضمة، ضمة + و	o, u

### الصوامت

ت، ط	t
ك، ق	k
ج	č
ش	s

من الملاحظ هنا أن تواتر الاستعمال بين (الكسر) و(الكسر + ا) لتمثيل الصائت e هو نفسه. ويتردد استعمال هاء السكت في أواخر الكلمات المنتهية بالصوائت.

إن هذا المخطوط يدخل بطبيعة الحال ضمن ما نعتبره «أعجمياً». غير أننا لا نستطيع أن نصنفه مع تلك المخطوطات التي قلنا عنها إنها «ناضجة»، بل العكس، لأنه يختلف عنها كثيراً في التمثيل. إن صاحب هذا المخطوط الذي يقحم كذلك آيات قرآنية بعربية مشوهة، كما سيفعل بنو قومه بعده، لا يشكل النص العربي المقحم، كما أن خطه رديء، وهذه كلها مؤشرات عن تسرب الضعف إلى لغته العربية.

فبالنظر إلى غياب الانتظام في عناصر هذا النص الشكلية وكذا إلى امتداده

عبر عدة صفحات، يمكن أن نعتبره ممثلاً لفترة انتقالية بين مرحلة تثبيت المعايير التي تمثلها مختلف الكتب العربية الأندلسية ومرحلة الانتظام وتوحيد تلك المعايير التي سلاحظها ابتداء من النصف الثاني من القرن الخامس عشر.

(8) في محفظة بالخزانة الوطنية بمديرية تحمل الرقم 5073، توجد بين أشياء أخرى مجموعة من الوثائق الأعجمية تتضمن عقوداً للزواج وسداد حسابات، أقدمها تاريخاً يرجع إلى سنة 873 هـ/1468 م. وهذه العقود تعكس كل الرموز الخطية الأعجمية بانتظام لا بأس به، خصوصاً فيما يرجع إلى الصوائت. أما فيما يخص الصوامت، فالانتظام لم يكتمل بعد بنفس الطريقة لأننا سنجد مثلاً أن حرف الشين المشدد يخصص لكل من s وš (وأريد التنبيه هنا إلى أنني لم أجد أبداً الشين المشددة تمثل [š] لا من قبل ولا من بعد). ولكن سنجد أن الشين غير المشددة تخصص كما هو الحال دائماً لتمثيل [s]. وسنجد كذلك استعمال هاء السكت الذي يذكرونا بمراحل سابقة.

إن هذه المحفظة تحتوي على عقود زواج عديدة، الشيء الذي يبين أن الأعجمية كانت قد تخطت الإطار الشخصي والضيق لمطبب دجال معزول في مكان ما من قشتالة كصاحب دفتر الوصفات البخورية المنتمي لـ Ocaña الذي تكلمنا عنه سابقاً، لتصبح في سنة 1468، وإن لم يكن قبل هذا، لغة ذات تداول إداري رسمي تكتب بها عقود زواج أو سداد الحسابات... الخ وتحمل الترخيص الملكي الرسمي والمعتاد كالذي نجده في ختام عقدة سداد الحساب بين أحمد البيطار ويوسف فارار من جماعة Agreda بأراغون والمؤرخة يوم 8 شتنبر من سنة 887 هـ (1482 م)، وبشهادة كل من علي كشتالان ومحمد سعيد وبحضور الموثق إبراهيم بن محمد قلبلي. الإشارة إلى الترخيص الملكي معبر عنه باللغة العربية كما يلي: «محمد سعيد بن الد... وليند ابراهيم بن محمد قلبلي كاتب راتب في الرطب المذكور كتبت هذا بأمر منه وبمحضر منه وبأمر وإذن ممن له ذلك ومن وجب له بأمر المولى السلطان دون فآرند أرشده الله تعالى وبه صح وثبت عنده بالواجب صح/صح صح صح».

كخاتمة عامة يمكن أن نقول ما يلي :

إن الترددات التي لاحظناها خلال عرضنا والتي تخص تمثيل الصوامت والصوائت الرومنسية تنم في الدرجة الأولى عن عفوية تلك التمثيلات وغياب نظام قار

للمقابلات، كما تبين غياب تناسب بين النسقين العربي والرومنسي، أي أن لكل من النسقين قيما صوتية خاصة يصعب التوفيق بينهما، وبالتالي يصعب تثبيتها بقيم قارة. يجب ألا ننسى أن العربية لا تملك إلا ثلاثة رسوم فقط (فتح — كسر — ضم) لتمثيل شتى صواتها. فإذا كانت هذه الصوائت الثلاثة هي التي ستستعمل لمقابلة الدرجات الصائتية الخمس البارزة في الرومنسية، فمما لاشك فيه أنها ستلقى بعض الصعوبات. ولكن يجب أن نعترف كذلك بأننا لا نستطيع أن نتيقن من القيم الدقيقة التي كانت للرسوم الصائتية العربية قديماً. فلا يمكن الجزم بأن قيمة الفتحة كانت، على الأقل في الأندلس، تساوي ما نعرفه اليوم كقيمة لها، وأن الفتح + الألف كان يساوي فتحاً طويلاً كما هو الحال اليوم. ويجب أن نتذكر كذلك أننا مازلنا إلى حد اليوم نقرأ الفتح + الألف كسراً في كلمة «مائة»، وهي الكلمة الوحيدة التي أعرف لها هذه الحالة، رغم أن حالات تمثيل الصائت e في اللغات الغربية بالفتح + الألف أمر معتاد في يومنا هذا ويكفي أن نتمعن في اسم الشركة البترولية الإنجليزية «شال» Schell. وفيما يرجع إلى تمثيل الصائتين الإسبانيين o وu، فلقد رأينا أنه لا يوجد تغيير خلال كل الفترات المذكورة، بما في ذلك فترة النضج. فكلا الصائتين مُثل بالضم دائماً، وهذا أمر لم أستطع أن أفهمه.

فيما يرجع إلى الصوامت، نلاحظ انسجاماً وتناسقاً أكبر من الذي رأيناه عند الصوائت :

(1) نجد أن الشين قد خصصت دائماً لتمثيل [S] السنخية الأسلية (apicoalveolar) الإسبانية، ولو أننا سنجد كذلك السين تقوم من حين لآخر مقام الشين ولو بوتيرة أقل.

(2) تخصص السين لـ [ç] و [z] في فترات ما قبل مرحلة النضج ولكن بعد ذلك ستخصص السين لـ [ç] والزاي لـ [z].

(3) لقد مُثل الصوت الرومنسي المعطش [ç] بالجيم دائماً دون تشديد إلى حدود فترة النضج، ثم سيضيف له الموريسكيون التشديد. وهذا راجع إلى ازدواجية التحقيق الذي يعرفه الصامت العربي المذكور. فإضافة التشديد مع الموريسكيين نُنم عن ضياع خاصية تعطيش الصامت العربي بينهم كما حدث في مناطق كثيرة من المغرب. وسيخصص الموريسكيون الجيم غير المشددة لتمثيل الـ [j] الرومنسي

الاحتكاكي fricativo الحنكي المجهور الموجود في كلمات مثل fijo, mujer, jente إلخ.

(4) في الفترة ما قبل النضج كان يتردد بين الطاء والتاء لتمثيل الصوت الرومنسي [T]، ولكن الموريسكيين في السادس عشر والسابع عشر سيخصصون التاء فقط، ونادراً ما سنجد الطاء لتمثيل الصوت المذكور.

(5) لتمثيل الصوت الرومنسي الحنكي الشديد والمهموس [K]، سنجد التوجه السائد هو القاف في فترة ما قبل النضج والكاف في فترة النضج. إذا فهذان التمثيلان سيتعايشان دائماً، ولكن مع ملاحظة الغلبة لأحدهما على الآخر حسب الفترة.

(6) الصوت الرومنسي الحنكي المجهور [G] الذي سيخصص له الموريسكيون حرف الغين، كان يمثل في كثير من الأحيان قبل هذه الفترة بالقاف.

وأخيراً يجدر التذكير بأن الترددات التي عرفها الأندلسيون في تمثيل اللغات الرومنسية وكذا اللاتينية مصدرها خاصيتان أساسيتان تتميز بهما العربية عن الرومنسية:

أ) الأولى تخص الصوائت وتكمن في غياب التطابق بين اللغتين فيما يرجع إلى عدد الرسوم المخصصة لتمثيلها. فللعربية ثلاثة أشكال تقابلها خمسة في الرومنسية، مع اعتبار قابلية المد في العربية.

ب) وفيما يرجع إلى الصوامت، نجد في كثير من الأحيان أن أمام الصوت الرومنسي تتوفر العربية على إمكانيتين :

[T] : ت/ط      [K] : ك/ق      [Ç] : س/ص

أضف إلى ذلك ازدواجية التحقيق التي تملكها بعض الفونيمات العربية مثل :

ج : المعطش والاحتكاكي      ق : المجهور والمهموس

ولكننا سنرى أن الاستعمال المكثف للأعجمية، أو بصيغة أخرى: للخط العربي لتمثيل الرومنسية بين الموريسكيين سيلغي أو سينقص تواتر هذه الازدواجية إلى حد كبير؛ وكثيراً ما يبطلها ويعوضها بعنصر واحد. إذاً فالسبب الذي أدى إلى توحيد النسق التمثيلي الأعجمي بين الموريسكيين يرجع بدون شك إلى كثافة استعمال النسق التمثيلي الأعجمي بين الموريسكيين، وليس إلى إعداد مسبق لنظام تمثيلي.